الدرعية. وقد حاصر المضايفي مدينة الطائف التي استسلمت بعد انسحاب الشريف غالب إلى مكة وبعد أن كانت القوات السعودية القادمة من الدرعية قد وصلت لمعاونة المضايفي عام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م وعينت الدرعية المضايفي أميراً على الطائف والمناطق التابعة لها(١٨).

وبعد ذلك اتجهت قوات الدرعية بقيادة الأمير سعود الذي جمع الغزو السعودي وتوجه به نحو الحجاز. وعند وصوله الطائف انضم إليه المضايفي وزحفت الجيوش السلفية الكثيفة نحو مكة وكان ذلك في موسم الحج. وقد انتظر الأمير سعود حتى انقضى هذا الموسم وانصرف الحجاج إلى ديارهم. ولما شعر الشريف غالب بعدم قدرته على مقابلة هذا الجيش ترك مكة وتوجه إلى جدة وترك الأمر في مكة لأخيه الشريف عبدالمعين بن مساعد الذي أعلن طاعته واستعداده لتسليم مكة على أن يبقى في شرافتها. فقبل الأمير سعود الذي كان يعسكر في وادي السيل بين مكة والطائف. وهكذا دخل السلفيّون مكة. وقرىء على منبر الحرم الشريف كتاب الأمان العام لأهل مكة. وإليكم نص الكتاب المعطى من الأمير سعود إلى وفد الشريف عبدالمعين:

من سعود بن عبدالعزيز:
إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغاوات وقاضي السلطان
السلام على من اتبع الهدى.. أما بعد:

«فأنتم جيران وسكان حرمه آمنون بأمنه إنما ندعوكم لدين الله ورسوله» قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» من سورة آل عمران آية ٦٤. فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز وأميركم عبدالمعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام».

دخل الأمير سعود مكة يوم السبت في ٨ محرم ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. وفي مكة ألقى الأمير سعود خطاباً طويلاً وضح فيه مبادىء الدعوة السلفية، ودعا الناس إلى هدم القباب المقامة على بعض القبور فهدمت. وأمر بتدريس كتاب «كشف الشبهات» في المسجد الحرام في حلقة عامة يحضرها العلماء والأهالي.

(١٨) Brydges, A Breif History, p. 19.
ـ حسين خزعل، ص٣٧٥.

وأرسل الأمير سعود إلى السلطان سليم الثالث بهذا الكتاب :

«إني دخلت مكة ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقاً . وثبّتّ القاضي الذي وليته أنت طبقاً للشرع الإسلامي . فعليك أن تمنع والى دمشق ووالي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فإن ذلك ليس في الدين في شيء»(١٩) .

لقد حاصر الأمير سعود جدة ولم يستطع دخولها لأنها أحيطت بالخنادق وبقوة كبيرة من الشريف غالب . وكانت المدينة محصنة لأنها مركز اقتصادي واستراتيجي مهم بالنسبة للدولة العثمانية في الحجاز ومناطق غربي الجزيرة العربية .

وبعد عودة الأمير سعود إلى الدرعية عاد الشريف غالب فدخل مكة دون معارضة أخيه عبدالمعين . ثم تقدم إلى الطائف وكان فيها المضايفي واتباعه فحاصرها الشريف ، وأثناء ذلك جاء خبر وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ، وتعيين إبنه سعوداً إماماً للدولة السعودية الأولى .

وبعد وصول نبأ استرداد مكة من قبل الشريف غالب إلى الدرعية ، قرر الإمام سعود أن يضع حداً لتصرفات الشريف غالب . فأمر غزوه في مناطق عسير ونواحي تهامة بمهاجمة جدة . وترأس عبدالوهاب أبو نقطة هذه القوات . ثم بنت الدرعية حصناً قوياً في وادي فاطمة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ووضعت فيه قوة كبيرة أخذت تهاجم قواعد الشريف غالب في المنطقة . ثم أرسلت الدرعية قوات كثيفة صوب مكة فحاصرتها وسدت على الشريف جميع الطرق لإضعافه عسكرياً واقتصادياً ، فأدرك الشريف غالب أن الأمر ليس بجانبه فاضطر إلى طلب الصلح على شرط أن يبقى أميراً على مكة تابعاً للدرعية . وبهذا عادت مكة تتبع حكومة الدرعية ثم تقدمت القوات السلفية فدخلت المدينة المنورة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م .

(١٩) حسين خزعل ، ص ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

ولطلب المزيد من التفصيل عن علاقة الدولة السعودية بأشراف الحجاز إرجع إلى :

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، موضوع آل سعود والحجاز ، معهد الدراسات والبحوث بالقاهرة .